



السفر في زمن كورونا يتحدى قيود الوباء

إجراءات الحجر تعصف بخطط السياح في إسبانيا



معالم هجرها السياح

شبه مقفر. على لوح الإعلانات حوالي ست رحلات في ذلك اليوم، كل حوالي ربع ساعة يأتي صوت من مضخات الصوت المنتشرة في كل مكان من المطار لتذكّر المسافرين بضرورة الانتباه لحقائبهم والإبتعاد على الأقل مسافة متر على الأخرين، وهو إجراء تم احترامه من الجميع إلى أن يأخذ كل منهم مكانه في الطائرة. أما في مطار تونس قرطاج، فقد كان المشهد مختلفا، المطار معقم بالكامل، الجدران والأرضية وجوان السفر تم تعقيم السقف أيضا.

الفرق الصحية والأمنية في انتظارنا بملاصق بيضاء واقية وأقنعة وقفازات، في مشهد حازم يكشف أن حالة الاستنفار على أشدها في تونس، في ممر محدد بأشرطة خاصة سرنا حتى بوابة الخروج من المطار، في الأثناء قياس درجات حرارتنا ثلاث مرات بأجهزة وكاميرات حرارية خاصة وتعقيم تام للثياب والأحذية والحقائب اليدوية وجواز السفر. ثم تكرر عملية تعقيم ثيابنا مرتين آخرين.

خارج المطار، أربع حافلات تنتظر نقلنا إلى الحجر الصحي الإجباري، مجموع المسافرين القادمين من مدريد كانوا في حدود الستين شخصا تم توزيعنا على الحافلات الأربع احتراماً لإجراءات السلامة.

السائقون كانوا يرتدون لباسا واقيا والمقاعد الستة الأولى تم منع الوصول إليها بأشرطة لاصقة. ولا أحد كان يعلم إلى أين سنذهب، فقط تعلم أن الحجر سيكون في نابيل البعيدة عن العاصمة تونس حوالي 60 كيلومترا.

هكذا كانت رحلتنا إلى إسبانيا في زمن فرض فايروس كورونا قيوده على العالم. نجح الوباء اللعين في إفتساح خطط وبرامج لكنه لم ينجح في زرع شيء من إحساس الندم على قرار السفر في شهر مارس 2020 لأنه رغم كل شيء تبقى مغامرة تستحق أن تعاش لتعلم من الجائحة سكان العالم يتشاركون العزل الذاتي ويتقاسمون ما خلف فايروس كورونا من موت ووجع.

باستثناء محلات بيع المواد الغذائية والأساسية والصيدليات، فيما تسير الحافلات والمترو بنسق أقل مقارنة بالأيام العادية.

قضينا أسبوعا في فندق بمنطقة غران فيا قبل العودة في أول رحلة إجلاء متوفرة إلى تونس. طيلة هذه الفترة، مدريد المعروفة بصخبها وازدحامها الدائم، كانت تبدو أشبه بمدينة أشباح زادت أرقام الموت المرعبة كآبة وحزنا، قطعها أحيانا أصوات التصفيق وقرع الأواني من شرفات المنازل تحية للفرق الطبية والصحية المشاركة في المعركة ضد فايروس كورونا.

إجراءات كورونا

في رحلتنا للبحث عن صيدلية تتوفر فيها الكمادات الواقية اعترضنا شرطي ليعلمنا بأنه يمنع سير شخصين على مسافة متقاربة في الشارع.

استغلينا الفرصة لنسأله عن الإجراءات مع اقتراب تاريخ انتهاء تأشيرتنا السياحية، فاجاب بمنتهى اللطف أن الأمر لا يضعنا في أي مشكلة لأن الوضع استثنائي مستعينا برمييه الذي يتقن الإنكليزية لتفسير الأمر لنا.

في مطار أدولفو سواريز باراخاس الدولي، الحركة قليلة والمكان الذي يعد رابع أكبر مطارات أوروبا بدأ

على تعايش الديانات الثلاث في المدينة في فترات زمنية ماضية. بعد توليدو، الوجهة هي إسبانيا في رحلة بالقطار تدوم لحوالي ثلاث ساعات انطلاقا من محطة أتوتشا التي تتميز بتصميم معماري جميل ولكن أيضا بوجود حديقة للنباتات الاستوائية داخلها.

بوصولنا إلى إسبانيا، وجدنا عكس مدريد التي بدأت تجارتها تتأثر بقرار الإغلاق. استقبلنا صاحب المنزل وهو مرتد لكمامات وقفازات واقية، ترك لنا مفتاح الشقة وما يشبه عقد إيجار وغادر. في هذه اللحظة تلقينا كما كبيرا من الأخبار السيئة تبدأ بقرار الحكومة التونسية فرض إغلاق جزئي للحدود الجوية وتخفيض عدد الرحلات الجوية بما في ذلك إلغاء رحلة عودتنا إلى تونس.

أمام القرارات الحكومية الجديدة، اضطررنا لتقليص مدة إقامتنا في إسبانيا وتغيير جدول رحلتنا الذي كان ضمنه زيارة لمدينتي قرطبة وغرناطة. في إسبانيا بعد يوم فقط من وصولنا استجابات المدينة لقرار الإغلاق الصادر عن الحكومة المركزية.

وأمام حديقة باركي دي ماريا لويزا (حديقة ماريا لويزا) مغلقة الأبواب، مجموعة من السياح والسكان المحليين، ربما لم تكن قد وصلتهم أخبار الإغلاق حينها، أو لم يكونوا يتوقعون أن القرار يشمل أيضا الحدائق العامة.

التنزه على ضفاف نهر نهر غوادالكيفير أو "الواد الكبير" خامس أطول أنهار إسبانيا، والذي كان قبل يوم فقط تسير فيه السفن السياحية، كان الخيار البديل في ظل بدء إغلاق المدينة التي غادرناها في اليوم التالي نحو مدريد.

في القطار بدأت الإجراءات المشددة ترى بوضوح، فإلى جانب مراعاة توزيع المسافرين على القطار بما يضمن سلامتهم، صعّد أحد العاملين في شركة السكك الحديدية وطلب من الركاب الجلوس في مقاعد متباعدة.

في مدريد كل شيء مغلق

يطل على تحفة فنية لا تقل عنه تميزا، هي نافورة سيبيليس التي يتوسطها نصب لرمز الخصوبة تم تشييدها في عام 1780. طريق العودة يمر بنا عبر بنك إسبانيا وهو البنك المركزي، وهو أيضا أحد أهم الأماكن التي بنيت حولها أحداث أحد مواسم المسلسل الإسباني الشهير "لاكاسا دي بابل". في المساء، جذبنا أجواء حانة مكتظة بالمشجعين لمتابعة مباراة فريق أتليتيكو مدريد وليفيربول، الفريق المحلي لتبدأ أجواء احتفالية أشعلها أداء فريق غناثي محلي حلق بالساهرين في سماء الرقص على إيقاعات أشهر أغاني موسيقى الروك العالمية.

في اليوم الموالي، كان جدول الرحلة يتضمن زيارة مدينة توليدو بالقطار التي تبعد حوالي نصف ساعة بالقطار على مدريد.

عند خروجنا من محطة قطار توليدو استقبلنا مرشدة سياحية لتعرض علينا جولة عبر الحافلة السياحية المكونة من طابقين، فوقنا دون تردد.

توليدو مدينة السلام

تجوب الحافلة أطراف مدينة توليدو لتبرز جمالها وموقعها الجغرافي المتميز لاسيما وجودها في أعلى تلة يحيط بها نهر تاجا، ثم تدخل المدينة مع سرد معلومات عن أبرز معالم المدينة وتاريخها باهم اللغات المتحدثة عالميا ومن بينها العربية. أولى المتاجر التي تتبع تذكارات من توليدو يعرض لزيائنه مجموعة بشكلها التاريخي ونقوشها العربية.

في شارع كلاوديو ماينو توجد مجموعة أكتشاك متلاصقة مبنية من الخشب على الطراز القديم مخصصة لبيع الكتب أغلبها بسبب قرار الحجر

هذا المتجر يقع في الشارع المجاور للكارزار (القصر) الذي بناه الأندلسيون حصنا في أعلى مكان من توليدو ثم أصبح مقرا للجيش الإسباني.

في توليدو، تسافر بك جدرانها وأزقتها إلى غياهب التاريخ فتلمس آثار الحضارات التي مرت من هنا من الرومانية إلى القوطية إلى الإسلامية ثم عودتها إلى إسبانيا، وكيف سعت كل منها لإدخال تعديلات على المعمار لطمس بصمات السابقيين لها والمختلفين عنها.

كاتدرائية توليدو هذه التحفة المعمارية العريقة، من أكبر الشهود على تعاقب الحضارات المختلفة على المدينة.

بعد جولة في توليدو بالاستعانة بخرائط غوغل وخرائط تين أبرز معالم توليدو حصلنا عليها من المرشدة السياحية، أدركنا أن توليدو تستحق عن جدارة لقب مدينة السلام الذي حصل عليه منذ القدم، وذلك لوجود الكاتدرائيات والمساجد والمبني اليهودي دليلا

لا تكشف سرا عندما نقول إن السفر في زمن كورونا مختلف عن السفر في الأيام العادية، فقرارات الإغلاق قد تفشل برامج الرحلات وتبدأ في إحباط السياح لكنها حتما لا يمكن أن تفسد متعة السفر التي تبقى دائما تجربة فريدة بكل تفاصيلها المميزة.

المراكب العالمية المناسبة لمختلف الأنواع والميزانيات. إبداع خطورة الوضع الناجم عن انتشار فايروس كورونا في العالم تجلى في بعض المحلات التي يحرس العاملون فيها على تنظيف وتعقيم أسطحها وواجهاتها وأبوابها، وكل ما يمكن أن تظال به يد الزبائن داخل المحل أو في محيطه.

واختارت بعض المتاجر وضع علامات تطلب فيها من الزبائن تجنب لمس البضاعة.

أحد أهم نقاط الجذب في مدريد حديقة "ريتيرو" العامة، وهي وجهتنا لقضاء قرابة نصف يوم، "باركي ديلريتيرو" التي شيدت في القرن التاسع عشر في الحقيقة أكثر من مجرد حديقة عامة، فإلى جانب أكثر من 125 هكتارا تحتوي على أكثر من 15 ألف شجرة، توجد تماثيل ونصب تاريخية وفنية عالية، من بينها النصب التذكاري للملك الفونسو الثاني عشر، وفونتي ديل أنجل كايديو (نافورة الملك الساقط) وقصور عريقة ممثلة في قصر فيلاسكيز وقصر الرزاج (بالاسيو دي كريستال) وقصر ريتيرو.

بخروجنا من حديقة ريتيرو توجهنا إلى متحف الأنثروبولوجيا القريب وأمامه فوجنا بابوابه مغلقة لنذكر حينها قرار الإغلاق الجزئي الذي بدأ سريانه ويشمل مواقع الجذب الثقافية ودور العرض السينمائية والمسارح وملاعب كرة القدم. وهنا تملكنا أولى حالات الإحباط، إذ

حرمنا من زيارة متحف برادو الوطني ومركز الملكة صوفيا للفن، بالإضافة إلى متابعة مباراة لفريق ريال مدريد بملعب سانتياغو بيرنابو ولكن أبوابه مغلقة.

أخذنا خطانا لاكتشاف معالم مدريد إلى شارع كلاوديو ماينو أين توجد مجموعة أكتشاك متلاصقة مبنية من الخشب على الطراز القديم مخصصة لبيع الكتب، أغلبها مقل في ما يبدو استجابة لقرار الإغلاق الجزئي.

معظم الكتب المعروضة في هذه الأكتشاك في مجالات مختلفة باللغة الإسبانية، أما الكتب باللغات الأخرى كالفرنسية أو الإنجليزية فهي شبة غائبة، وإن وجدت فحضورها نادر.

الرجوع من حديقة ريتيرو والذهاب إليها يمر وجوبا عبر بلازا دي سيبيليس (ساحة سيبيليس) والتي يوجد بها قصر الاتصالات التاريخي، وهو الآن مقر بلدية مدريد، تحفة معمارية فريدة من نوعها

لا شيء هنا يدل على استثناءات مرتبطة بانتشار فايروس، رغم أننا في الأسبوع الثاني من شهر مارس، ما عدا عدد قليل من الحارة يرتدون الكمامات الواقية. في صباح اليوم التالي، لا يمكن تفويت فرصة احتساء فنجان قهوة في أحد مقاهي مدريد والاستمتاع بأشعة الشمس الدافئة، ومن ثمّة الانطلاق في جولة على الأقدام بين أنهب وشوارع العاصمة للاستمتاع براء المعمار الإسباني القديم.

أحد الطرق المتفرعة من ساحة بويرتا ديل سول يوصل إلى منطقة "غران فيا" جنة عشاق التسوق إذ يضم الشارع الرئيسي في هذه المنطقة أهم

نسرين رضاني
صحافية تونسية

تونس - قد يبدو قرار السفر مع بدء تواتر الأخبار حول انتشار فايروس كورونا وتحديدًا في الأيام الأولى لشهر مارس قرارًا مجنونًا، لكن كيف تقاوم فكرة السفر عندما تملكنا.

انطلقت الطائرة من مطار تونس قرطاج الدولي لتصل مدريد بعد حوالي ساعتين تخلتها محطة توقف واحدة في مطار برشلونة. عند النزول من الطائرة وحتى مكتب شرطة الحدود لا شيء يدل على إجراءات استثنائية متعلقة بتفشي كورونا لا قياس لدرجات حرارة المسافرين ولا إجراءات سلامة مشددة ولا غيرها.

بمجرد ختم جواز السفر، يكفي تنزيل تطبيق إلكتروني على الهاتف الذكي لتفهم حركة النقل في المدينة والوسائل التي تقلك للوجهة التي تريد الذهاب إليها.

خطوتنا التالية كانت اقتناء بطاقة تنقل من الجهاز الاتي الموجود في مدخل محطة المترو صالحة للاستخدام في مدريد طيلة المدة التي يحددها السائح. وصلنا إلى الفندق الموجود في منطقة سول قرابة الساعة الثامنة مساء. بعد وضع الحقائب في الغرفة وفترة راحة قصيرة أخذنا حماسنا في جولة ليلية في قلب مدريد، ساحة "بويرتا ديل سول" التي تعني بالعربية بوابة الشمس.

إرث ثقافي

بوابة الشمس هي مركز مدريد، إذ توجد فيها النقطة صفر أو كما تقول اللافية "كيلومتر صفر"، منها تنفرع عشرة شوارع توصل إلى مختلف مناطق العاصمة.

مبنى ريال كاسا دي كوربوس الذي يقع في الواجهة الجنوبية لساحة بويرتا ديل سول بني في القرن الثامن عشر، وكان في السابق مكتبا للبريد كما يشير اسمه، لكنه حاليا لا يقوم بهذه الوظيفة بل يستقبل مكتب رئيس حكومة مدريد.

ساحة بويرتا ديل سول لا تكاد تخلو من حركة المارة في الليل كما في النهار بفضل جمالها ووجود عدة نصب تذكارية شهيرة من بينها تمثال الدب وشجرة الثوت ونافورات تاريخية وتمثال الملك كارلوس الثالث.

في شارع كلاوديو ماينو توجد مجموعة أكتشاك مبنية من الخشب على الطراز القديم مخصصة لبيع الكتب، أغلبها مقل في ما يبدو استجابة لقرار الإغلاق الجزئي.

معظم الكتب المعروضة في هذه الأكتشاك في مجالات مختلفة باللغة الإسبانية، أما الكتب باللغات الأخرى كالفرنسية أو الإنجليزية فهي شبة غائبة، وإن وجدت فحضورها نادر.

الرجوع من حديقة ريتيرو والذهاب إليها يمر وجوبا عبر بلازا دي سيبيليس (ساحة سيبيليس) والتي يوجد بها قصر الاتصالات التاريخي، وهو الآن مقر بلدية مدريد، تحفة معمارية فريدة من نوعها

